السلطانة صبح البشكنجية (أوروا) Aurora صانعة ملك الحاجب المنصور و الدولة "العامرية" في الدراما التلفزيونية

د.عزيز زروقي
باحث في المسرح والسينما والدراما التلفزيونية
المغرب

الملخص:

لم تخلو صفحات التاريخ من مساحات واسعة للإخصاب الأنثوي، والذي بدأ عشقا وانتهى عدائيا؛ متمثلا عند امرأة عشقت وكرهت، نستحضرها حين يتزامن حضورها تاريخيا مع أزهى عصور الحضارة الإسلامية في الأندلس فترة الخليفة الأموي **الناصر** وابنه **الحكم**، وما تلاه بقليل. إنها الجارية **صبح** البشكنجية (أوروا) Aurora. فمن دار الغناء التي أنشأها الموسيقار **زرياب** في قرطبة انطلق صوتها معانقا العود، وباحثا له عن مخبأ في قلوب الأثرياء والوجهاء حتى استقر بقصر **الحكم بن عبد الرحمن الناصر** يقيم بها وينجب منها على كبرٍ؛ ولدين الأول: **عبد الرحمن** الذي مات صغيرا، ثم **المؤيد بالله هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر**. وقعت عيناها على الشاب **محمد بن أبي عامر** فعشقته، بينما هو يصل تدريجيا ما كان يصبو إليه ليجاور السلطان. ومع ذلك دعّمته في حياة **الحكم** وفي مماته، إضافة إلى حنكته ومواهبه وحسن تدبيره. ظلت الملكة **صبح البشكنجية** طوال حياتها أمّا للخليفة الصغير، تجاهد مشطورة الروح بين واجبات الأم التي سيحمّلها التاريخ وزر تفريطها بحق ابنها، وبين رغبات القلب المعلّق **بابن أبي عامر** على الرغم من أنه كان وما زال العاشق الحرام والمعشوق المحرّم. صار قلب السلطانة **صبح** يتمزق غيظا من **الحاجب المنصور** الذي رفعته من أحط المراتب إلى أعلاها، وأئمنته على مستقبل ابنها، فانقلب عليها يبغي إنكار ابنها وإزالته، هو وأمه من الوجود!

مدخل:

لا ريب في أن تكون حقيقة علاقة الإعجاب المتبادل والمصلحة المشتركة التي كانت تربط بين الملكة الأم **صبح**؛ بشكنسية المولد، اسبانية من بلاد الباسك شمال اسبانيا، ويسميها العرب (البشكنس) جارية مغنية في "دار المدنيات" بقرطبة، والتي اشتهرت بجمالها الفاتن، وثقافتها الواسعة، ودهائها وتدخلها في شؤون الحكم وتدبير أمور الدولة، مع شاب من العامة يدعى **محمد بن أبي عامر بن عبد الله بن عبد الملك المعافري** الذي قدم من قرية طرش إلى قرطبة يطلب العلم، من أسرة عربية عريقة **ذات** أصول يمنية، طموح مؤمن بالمستقبل الزاهر الذي ينتظره. أما الشباب والفتوة والنشاط والنجاح والإعجاب، فكانت كلها مسببات اجتمعت بينهما وضمنت لهما علاقة عشق متبادل من كل الطرفين، على أن هذه العلاقة بينهما كانت قد نشأت من قبل في حياة **الحكم المستنصر المسن** زوجها نفسه، والذي كان من رعاة العلوم والآداب، مغرما بالموسيقى والغناء. هذا الأخير استشعر شيئا من ذلك، فانتحل بعض السيناريوهات بتحريض من صقالبة القصر للإطاحة **بمحمد بن أبي عامر** الذي كان حذرا للغاية، ونجا منها كلّها.

عبّد **لأبي عامر** عمله وكفاءته، وضروب النشاط والحيوية المفرطة التي توفرت لديه طريق التدرج من وظيفة إلى أخرى، ومن مهمة إلى أخرى داخل القصر وخارجه. ابتغى **الحكم** لزوجته صبح كاتبا من أولئك الكتبة الذين كانوا يحوطون القصر، يكتبون العرائض للخليفة من المتظلمين من الرعية. ووقع الاختيار على فتى يدعى **محمد بن أبي عامر**، كان له حانوت بجانب القصر ينشئ فيه قصص الشكاوى وعرائض التظلم للخليفة. اتصل بقصر الخلافة في قرطبة على عهد **الحكم المستنصر** نفسه، والد **هشام المؤيد**، علي يد الحاجب **المصحفي** الذي زكاه عنده. تردد الخليفة أولا في قبوله عندما رأى شبابه. وأخيرا وكل مهمة الاختيار إلى زوجته فاختارته. تعيينات لم تكن لها موقع الرضى من الخليفة وحده فحسب، بل ومن الجارية السلطانة **صبح**، ثم لم يلبث بخصاله الأخرى أن تكفل بالباقي. أعجبت به **صبح** (**أوروزا**) Aurora، ومحضها هو نفسه وخدمته، وأبدى في الأعمال المختلفة التي أسندت إليه بعد ذلك، ما كان خليقا أن يزيد في نفوذه وعلو مكانته.

ابتسم الحظ كثيرا **لأبي عامر**، وأعجبت الملكة **صبح** بآدابه وحسن مظهره. لم تخف رضاها عنه، خصوصا تلك الهدايا الثمينة المختلفة التي كان يقدمها لها، ومنذ ذلك الوقت أخذت السيدة **صبح** تتوسط له عند الخليفة **الحكم المستنصر**، وتذكره بمناقبه وتنوه بأعماله وسلوكه، حتى ولاه ورقاه مناصب عالية. تمكنت أواصر المودة بينهما تمكنا عظيما، مما أتاح لبعض الوشاة أن يلغوا بالقول السيء، كذلك أغذق **ابن أبي عامر** هداياه على غيرها من الحريم فأسرهن كرمه وأعجبتهن رقة حديثه وجميل خصاله، وكان **الحكم** يشهد هذا السحر الذي ينفثه **ابن أبي عامر** إلى حظيته، وإلى نساء القصر جميعا، ويعجب له. ولم يفهم الخليفة العجوز شيئا حتى لقد قال ذات يوم لخاصة أصدقائه: " ما الذي استلطف به هذا الفتى حريمنا حتى ملك قلوبهن مع اجتماع زخرف الدنيا عندهن حتى صرن لا يصفن إلا هداياه ولا يرضيهن إلا ما أتاه؟ .... إنه لساحر عليم، وخادم لبيب، وإني لخائف على ما بيده"[1] .

ترك **الحكم المستنصر** وراءه ولي عهده صبيا في الثانية عشرة من عمره، فكان على **محمد بن أبي عامر** أن يلعب دورا خطيرا جدا وحاسما في تثبيت الخلافة لولي العهد، وفي قتل عمه الذي كانت بعض زعماء الصقالبة، وقيادات الجيش ترشحه للخلافة. وكان من الطبيعي أن يرفع كل ذلك من قدر **محمد بن أبي عامر**، وأن يمكن من سلطانه، كما كان من الطبيعي أيضا أن يقربه ذلك من ذي قبل إلى قلب عشيقته **صبح** زوج الخليفة الراحل، وأم الصبي **هشام المؤيد**، الخليفة الجديد.

كانت العلائق بين **صبح وابن أبي عامر**، تزداد كل يوم توثقا، ولا سيما منذ وفاة **الحكم**. وكان **ابن أبي عامر** يرى في تلك المرأة، التي تجتمع في يدها السلطة الشرعية، بوصايتها على ولدها الطفل، أداة صالحة هينة، يستطيع أن يخضعها لإرادته، ويسخرها لمعاونته، على تحقيق مشاريعه البعيدة المدى. وكانت **صبح** من جانبها تغدق كل عطفها وثقتها على هذا الرجل القوي الذي سحرها بخلاله، وقوة نفسه، وباهر كفاياته، وتضع فيه كل أملها لحماية العرش الذي يشغله ولدها الفتى.

طفا على السطح هاجس المصلحة المشتركة ليزيد من مثانة علاقة التقارب بين **صبح** و **محمد بن أبي عامر**؛ فكل منهما طموح أشد ما يكون الطموح، وأعنفه للحكم والسلطان واستعمال النفوذ، ومن مصلحة كل منهما أن يحجز الخليفة الصغير في القصر، وأن يحل نهائيا بينه وبين الناس، سواء كانوا من عامة الشعب، أو من رجال الدولة المسؤولين. ويشرف منه على كل داخل، ويمنع ما يحذره من الدواخل؛ ورتب عليه الحراس والبوابين، يلازمون حراسه من فيه ليلا ونهارا، ويراقبون حركاتهم سرا وجهارا؛ حتى تم فرض على الخليفة **هشام المؤيد** ضربا من الإقامة الجبرية، وتعطيل القصر الخليفة من جميعه.

ترعرع الخليفة المحجوز في القصر بعيدا عن الأنظار في وقت عظم نفوذ العشيقان: **صبح** و**محمد بن أبي عامر**، لينجح هذا الأخير في القضاء نهائيا على كل منافسيه، ولكي يصبح حاجب الخليفة والحاكم الفعلي للأندلس، والمدافع عن حماها. وبمرور الأيام يبدأ الإحساس بالخطر يخالج قلب **صبح** على مركزها، ومركز ولدها الخليفة **هشام المؤيد**، فتتسع الجفوة بينها وبين **محمد بن أبي عامر**.

بات من وسع **محمد بن أبي عامر** أن يطيح باسم الخلافة الأموية، وأن يؤسس في الأندلس دولة أخرى جديدة. ولكن حكمته أملت عليه ألا يفعل، نظرا لظروف واعتبارات متعددة، فاكتفى بأن يكون خليفة بالفعل، وأن يتخذ لنفسه لقب **الحاجب المنصور**، وأن يترك اسم الخلافة ل **هشام المؤيد**، الذي كان بالرغم من تقدمه في العمر وبلوغه سن الشباب في شغل شاغل عن الخلافة ومتاعبها بألعابه وتفاهاته مع الجواري والخصيان في حدائق القصر بقرطبة.

كان **الحاجب المنصور** رجل سياسة وحكم بإدارة قوية وسعي لا يكل، منتهزا في ذلك الفرص المتاحة التقوية نفوذه، وتوسيع سلطانه، وفرض هيبته، على حساب زملائه من كبار رجال الدولة، واستطاع بدهائه أن يمكر بهم وأن يوقع بينهم حتى قتل بعضهم بعضا بدون وازع أخلاقي، كما كان رجل حرب، وقد بلغت حروبه مع النصارى في شمال الأندلس ما يزيد عن الخمسين معركة كما تروي جميع كتب التاريخ المغربية والأندلسية التي تحدثت عنه. لم ينهزم في واحدة منها، وكان عند رجوعه من كل معركة يجمع الغبار الذي يعلق منها بثيابه، وأنه قد اجتمع له من ذلك إناء ممتلئ غبارا، أمر أن يدفن معه في قبره.

–المبحث الأول: علاقة مبنية على المصلحة المشتركة وعشق عنيف جمعت بين كل من الملكة صبح البشكنسية، ومحمد بن أبي عامر في الدراما التلفزيونية

–مشهد في حوار: محمد بن أبي عامر يمتهن حرفة تحرير الرقع؛ من الصحائف والطلبات والرسائل والعرائض والشكاوى والالتماسات، بذكاء ومهارة استهوت الجميع قرب قصر الزهراء يستقبل الزبناء؛ من صقالبة القصر، وسواد وبياض الناس، وابن عمه عمر[2]

–أحد صقالبة القصر: حبرتها تحبيرا كعادتك. **–محمد بن أبي عامر**: فعلت. **–أحد صقالبة القصر**: واجتهدت، ألا تشكل شيئا مما كتبته لغيري. **–محمد**: لا أكتب رقعة تشبه أختها طب خاطرا. **–أحد صقالبة القصر**: استشهدت ببعض. **–محمد**: لم أجد شعرا يليق بالمناسبة العظيمة. سامح الشعراء فحول ينشغلون بأغراض الحماسة، ووصف المعارك، والحكمة والزهد، وينصرفون عن الأغراض العظيمة كختان أولاد الوزراء. على كل حال لما لم أجد شعرا يليق بالمناسبة، ابتدعته بنفسي. فقط لأجل رقعتك، والآن ما رأيك صدقني، لو يقرأ على الملأ، سيتمنى الكبار لو يختنوا ثانية ليفوزوا بمثل هذا الكلام. **–أحد صقالبة القصر**: أنت عظيم يا محمد. **–محمد**: أعرف. **–أحد صقالبة القصر**: خذها إنها أضعاف أجرك، لكنك تستحقه. **محمد**: تقدم يا أبت. **–رجل 1**: السلام عليكم. **–محمد**: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، سم حاجتك يا أبت. **–رجل 1**: ليس عندي مثل هذا. **–محمد**: لا تلتفت إلى المال، فقط اعرض علي مسألتك لأكتبها لك. – **رجل 1**: أتظلم إلى أمير المؤمنين. **–محمد**: من ظلمك؟ **–رجل 1**: أحد عمال أمير المؤمنين، سعيد بن مهضوم، لي أرض صغيرة أتعيش منها وقد ضمها إلى ضياعه. **–رجل 2**: أنت محمد بن أبي عامر؟ **–محمد**: إن كنت تحسن القراءة فاسمي على الرقعة. **–رجل 2**: آه نعم. **–محمد**: هل عرضت مسألتك على القاضي؟ **–رجل 1**: فعلت ولكن. –**رجل 2**: قيل لي أنك بارع في عرض المسألة، أرني إن كان هذا حقا. **–**

محمد: ألا ترى أني منشغل في حاجة الرجل. **–رجل 2**: ولكني في عجلة من أمري، ومسألتي لا تحتمل التأجيل. **–محمد**: إذن التمس لنفسك كاتبا آخر، فهم كثر. **–رجل 2**: ماذا؟ ألا تعرف من أنا؟ **–محمد**: أعرف القدر الذي يكفيني، جئت تاليا على هذا الرجل الطيب وقطعت عليه كلامه، فإما أن تنتظر ويفرغ وأفرغ معه، وإما أن تمضي إلى غيري. **–رجل 2**: إنني أدفع جيدا. **–محمد**: والله لو دفعتي لي مالك كله ما قدمتك عليه، فالناس كلهم عندي سواسية، التالي فالتالي، فإن كنت مقدما أحدا فأقدم الشيخ والضعيف فاختر لنفسك. ماذا قلت يا أبت؟ –رجل 1: عرضت مسألتي على القاضي، ولكن لم تكن لدي بينة، والعامل الذي اغتصب أرضي استكبر أن يذهب بنفسه إلى القاضي ليحلف اليمين، احتج بعمله لأمير المؤمنين. **–محمد**: لا بأس عليك يا أبت. **–رجل 2**: هل يطول هذا؟ **–محمد**: هل تعرف كيف توصلها إلى مقصدها؟ **–رجل 1**: وعدني صاحب الباب. **–محمد**: حتى تنقضي حاجتك وترد إليك أرضك، نسيت هذه يا أبتي. **–رجل 1**: لا.– **رجل 2**: حان وقتي الآن. –محمد: اذكر مسألتك. –جؤذر: محمد كيف حالك؟ –محمد: بخير ما دام أمير المؤمنين بخير. –جؤدر: هو بخير والحمد لله. منشغل. **–محمد**: أنا منشغل، أبدا بالعكس، أهلا وسهلا ومرحبا تفضل، تفضل منشغل، يستطيع صاحبنا أن ينتظر فهو يقدر كما نقدر فتيان مولانا المقدمين، ويعلم كما نعلم أنه لا ينبغي أن نبطئهم عن خدمة مولانا. أليس كذلك؟ **–جؤذر**: ما هذا أين كنت مختفيا عنا يا محمد؟ **–محمد**: في سجن أصحابك. **–رجل 2**: الناس عندك سواء، لا يتقدم كبير على صغير **–محمد**: إن لم يرضيك تقدمه عليك، فلماذا لم تمنعه بنفسك. الحق يؤخذ ولا يستجدى، هيا سم حاجتك. **–رجل 2**: لي تجارة على كتف البحر، بعشرين ألف دينار.**–محمد**: وماذا تطلب؟ **–رجل2**: أليس هذا بينا، أطلب أن يصرف لي عوضها، من ديوان الصدقات. **–محمد**: من ديوان الصدقات. **–رجل 2**: إنه باب من أبواب الصدقة والزكاة ومصاريفهما إن كنت تعلم أصول الفقه. **–محمد**: سامحني، أعلم القليل منه، ولكن قولي أهي كل مالك. **– رجل 2**: بل هي ربع مالي تقل أو تزيد. **–محمد**: ربع مالك، إذن أهلك الله الأرباع الثلاثة المتبقية **–رجل 2**: ماذا؟ وتدعو علي. **–محمد**: أنا وعامة المسلمين، هيا اخرج من دكاني هيا. **–رجل 2**: لعن الله رجلا دلني عليك. **–محمد**: هيا. لا تنقضي عجائب البشر، قد رأيت منهم الكثير في هذا العمل. أبيني وبين الزهراء هذا السور، كأني هنا من أهل الأعراف. **–عمر**: ولكن أين الجنة من السور وأين النار؟[3]

–مشهد محمد بن أبي عامر يمتهن حرفة تحرير الرقع؛ من الصحائف والطلبات والرسائل والعرائض والشكاوى والالتماسات، بذكاء ومهارة استهوت الجميع قرب قصر الزهراء، يستقبل الزبناء؛ من صقالبة القصر، وسواد وبياض الناس، وابن عمه عمر[4]

Lire (k)
18:38 / 44:27

Lire (k)
18:40 / 44:27

Lire (k)
19:27 / 44:27

Lire (k)
19:38 / 44:27

Lire (k)
19:52 / 44:27

Lire (k)
20:08 / 44:27

Lire (k)
21:49 / 44:27

Lire (k)
22:58 / 44:27

–مشهد في حوار: الصقلبي جؤذر وصبح يختبران من مترشحين من سيتولى منصب كاتبها الخاص الذي سيكون مسؤولا عن إدارة ضياع القصر الخاصة، وسائر مراسلاتها وحساباتها مع موظفي القصر[5]

–جؤذر: ما رأيك فيه سيدتي. **–صبح:** لا بأس به، صاحب تجربة وعلم، لكنه متكلف، يخطو بقدر ويجلس بقدر، ثم إن له عينين متقاربتين، وهي سمة الخبث. **–جؤذر:** لن يدخل عليك أحد إلا وجدتي فيه عيبا على ما يحملونه من تجارب. **–صبح:** هل بقي أحد غيره، فقد ضجرت. **–جؤذر:** واحد. **–صبح:** أدخله. **–جؤذر:** محمد بن أبي عامر. **–محمد:** سيدتي.

أيا لك نظرة أودت بقلبـي وغادر سهمها قلبي جريحـا

فليت أميرتي جادت بأخرى فكانت بعض ما ينكا الجروحا

فإما ان يكون بها شفائـي وإما أن أموت فأستريحـا[6]

7

–مشهد محمد بن أبي عامر والمترشحون ينتظرون الدخول عند صبح

–مشهد في حوار: محمد بن أبي عامر مع صبح البشكنجية بعدما تولى منصب 'النظارة''[8]

–محمد: سيدتي. **–صبح:** قد تأخرت عليَّ. **–محمد:** كان علي أن أبدأ يزيارة جميع ضياع سيدي **عبد الرحمن** وأملاكه حتى أعاينها بنفسي، وأرى حالها والقائمين عليها، وأراجع معهم الدفاتر والسجلات والغلة والخراج، ثم أنظر فيما يحتاج إليه بعضها، لإصلاح شأنها وزيادة عطائه. **–صبح:** كيف وجدتها؟ **–محمد:** أما بعضها فلا بأس، وأما غيره فيحتاج إلى تدابير مختلفة على وفق الحاجة، وجدنا أن بعض الضياع يستحسن أن يستبدل بشجرها وزرعها ما هو أوفق لترابها ومناخ ناحيتها. وشرع على ذلك على الفور، ثمة أراض لم تستصلح أوقفنا عليها من يستصلحها، ونظرنا في شق الترع والقنوات حتى يصل إليها الماء من أقصر الطرق. **–صبح:** هذا كله مدون في دفاترك **–محمد:** تستطيعين النظر فيها يا سيدتي. **–صبح:** وما أدراني أنا بالضياع وخراجها وما تصلح به. **–محمد:** كل مجهول يبدو صعبا لأول مرة يا سيدتي ثم إذا أعمل الإنسان فيه عقله واجتهد هان عليه الصعب وأدرك منه غايته. **–صبح:** حقا. **–محمد:** كل ما يحتاج إليه المرء، العقل والميل والإرادة. **–صبح:** بلى، العقل والرغبة والإرادة. **–محمد:** هنا يا سيدتي تجدين وصفا لكل ضيعة من ضياع سيدي **عبد الرحمن** مع ضبط حدودها وموقعها وجهتها وسعتها وما يجاورها من كل الأنحاء[9].

–مشهد محمد بن أبي عامر يحمل دفاتر الضياع عند السيدة صبح[10]

–مشهد في حوار: جؤذر يطرق الباب بينما صبح ومحمد منشغلان[11]

–صبح: ما الذي تريده؟ **–جؤذر:** أنظر حاجتك يا سيدتي. **–صبح:** حين أصير في حاجتك أرسل إليك. **–صبح:** هؤلاء الفتيان الصقالبة. **–محمد:** هم خاصة القصر وزينة الدولة كما يقال. **–صبح:** ما هم برجال فنتدارى منهم، ولا هم بنساء فنتبسط معهم. **–محمد:** تلك الغاية يا سيدتي فهم يروحون بين أمير المؤمنين وحرمه، وهو ما لا ينفع معه لا الرجال ولا النساء.**–صبح:** أنت رجل وأنت هنا. **–محمد:** عملي يا سيدتي ولست من ساكني القصر. **–صبح:** لم تقل لي يا محمد، متزوج أنت؟ **–محمد:** لا ولكن خطبة. **–صبح:** تحبها، لا أعلم كيف انفلت الكلام مني، ليس هذا من...**–محمد** : لا لا سؤال عارض، إنها فتاة طيبة كريمة المنبت. **–صبح:** هذا كلام يمكن أن تقوله في أختك. **–محمد:** ما كنت لأخطبها لولا أني رأيت فيها ما دعاني إلى ذلك. وإني لأهتم لأمرها وأحب أن أرعاها، ولكني لا أسهر الليل أعد النجوم وأتقلب على الفراش تقلب المحموم. **–صبح:** ماذا كنت تفعل في دار المدنيات ذلك اليوم؟ **–محمد:** ذلك يوم بعيد. **–صبح:** إذن فقد تذكرتني هل فوجئت حين رأيتني. **–محمد:** كنت أسمع بالسيدة صبح أم ولد الخليفة، ولكن لم يخطر لي، المفاجئة ليست الكلمة التي تصف الحال يا سيدتي. **–صبح:** فما الذي يصفها. **–محمد:** تعجز الألفاظ. **–صبح:** حاول، فأنت الكاتب الذي كان يبدج تلك الرقاع البديعة، فالولد مزاج أمه وأبيه، ولقد يقاس البعيد على القريب والغائب على الحاضر، وكأني به يشب في برديه رفعة أموية ووسامة بشكنجية. **–محمد:** وتحفظينها. **–صبح:** أي امرأة لا تحفظ كلام مثل هذا قيل فيها، لم يخطر لي أن الكاتب **محمد بن أبي عامر** الذي كتبه هو الفتى الذي لمحته في دار المدنيات حتى دخلت علي هنا، ولكن كيف لرجل أن يكتب مثل هذا الكلام في امرأة لم يرها. **–محمد:** ولكني رأيتك يا سيدتي. **–صبح:** نعم ولكن حين كتبته، ما كنت تدري أن الفتاة التي رأيتها في دار المدنيات هي أم ولد الخليفة التي تكتب لها. **–محمد:** ولقد يقاس البعيد على القريب، والغائب على الحاضر.**–صبح:** وما القريب الحاضر الذي قست عليه. **–محمد:** صورة من الخيال، استقرت هنا في لحظة خاطفة ولم تفارق حتى صارت أكثر حضورا في النفس مما تقع عليه العين، وما كنت أتوقع أن الصورة التي أتمثلها وأن أخط تلك الرقعة هي نفسها. ينبغي أن أستأذن الآن يا سيدتي..

لقد كتمت الهوى حتى تهيبني لا أستطيع لهذا الحب كتمانا

لا بارك الله في الدنيا إذا انقطعت أسباب دنياك من أسباب دنيانا[12]

-مشاهد جؤذر يطرق الباب بينما صبح ومحمد منشغلان[13]

-مشهد في حوار: صبح مع الخادمة بدور في الغرفة[14]

-صبح: ولقد رأيته وقد تجرد من كل سلطان وكأنه أي رجل إلا أنه أنبل الناس وأسماهم روحا، وهو الحكم لا زيادة، وأنا صبح لا نتساوى رجل وامرأة، جمعت بينهما الأقدار على اختلاف الدم والعرق والمنبت والمنزلة. رجل وامرأة فحسب، وهو يسأل سؤال من يكتم السؤال ويوجعه، تمنعه هيبة السلطان والخوف من الجواب، ولا والله ما كان سؤال متخونا، بل سؤال محب عاشق لا يرجو إلا أن يكون في قلب حبيبته، بعض الذي فيه فيرضى بذلك وتبرد نفسه، ويعلم أن حبه المبذول بشرط لم يكن حب رجل لامرأة ليس له في قلبها نصيب، هل تدركين قولي يا بدور؟ الخليفة يأمل في قلب جارية يملكها، ويريد أن يعلم وهو في مرضه الذي يؤمل منه شفاؤ لكي يحمله معه، (تبكي) وما كان عساي أن أقول إلا ما يجب أن يقال، ومن هي أورورا البشكنجية لكي تستحق كل ذلك الحب من ذلك الرجل العظيم. أكان ذاك انتقامه، انتقام الرجل النبيل الذي تغلب هيامه على سطوته إن كان كذلك، من قال إن سفك الدم أهون من ذلك النوع من الانتقام اللطيف، يطال الروح لا الجسم فقد تركني أنكر نفسي وأتصاغر أمام ظله، وخلف في غور روحي لوعة لا تنقضي، وسؤالا جارحا كحد السيف، لن يفتأ أبد العمر يحوز في روحي. هل كانت خيارا وإن لم يكن مكانها إلا القلب حيث لا سلطان ولا حاجب، ولكني لم أختر السبي حتى صرت إلى قرطبة ولم أختر الغناء أمامه كي يراني ويطلبني ثم يمنحني قلبه وقصره. وما منحت من شيء إلا سلبت أكثر منه، أما لمرأة عاشقة لا رجاء لها في من تهوى وهذا أيضا لم أختره، فكيف ألام فيما ما ملكه غيري مني ولم أملك منه شيئا؟ أنا مملوكة الخليفة حسا ومملكة غيره روحا، ولو إني بقيت في بلاد البشكنج، لكنت الآن امرأة أخرى أبغض من أفديه الآن بنفسي، وأحرض على قتاله، فكيف يقال إني ملكت من نفسي ما أحاسب عليه، أنا أسيرة الكره والحب. ثم أسيرة الحب الذي ليس منه شفاء. دواءه داء، وداءه دواء، فمن المظلوم هنا ومن الظالم، أكلنا ظالم ومظلوم في آن[15]

-مشهد صبح مع الخادمة بدور في الغرفة[16]

-مشهد في حوار: صبح تستدعي أبا عامر في قصرها[17].

-**صبح**: الحد، يا محمد هل تعرفه؟ -**محمد**: الحد حد الجوارح وما تملك، أم حد الروح والقلب والخيال، أما عمل الجوارح فحده الخيانة والحرام الألم الذي يتعداه ولا أنت، أما حد القلب والروح فحيث يهيمان، إلا حيث تقدر الأعمار والأقدار والأمصار، حيث لا زمان ولا مكان ولا تواريخ ولا ليل ولا نهار، وهب أني خرجت من هذا المكان ثم لم أعد إليه، هل تفارقه روحي أو يفارقه قلبي، وهل لي عليهما سلطان ليته كان فأريح واستريح. فإن كان بقينيه هنا حضرت أم غبت شئت أم أبيت، فما الذي نصيبه بالبعد غير خيانة القلب والروح، وهل يكون الشيء معدوما طالما بقي سرا في القلب حتى إذا أفصح عنه إذا وجد، إذن أفصح عنه ولا أبالي فهو موجود، موجود، موجود، لا أقمعه فكأني أنكر نفسي ولكن أصونه بالعفاف وأحفظه بالتذمم وأكرمه بالوفاء ولقد وجدتني أفكر بك، ثم استذكر السدود والحدود والقيود، فأفرغ منها إلى الخيال. والوهم خيال الصبي أول بلوغه الحلم، يصنع الدنيا على مثال أحلامه، هنا (يشير على الرأس) حين يرقد لنومه حين يزوره طيف المرأة الناضجة الشابة، التي دونه ودونها كل الأسباب، فإذا رقد وزاره الطيف قبيل نومه فزع إلى أوهامه وخيالاته يخترع أزمنة غير هذه الأزمنة أمكنة غير هذه الأمكنة، بشر غير هؤلاء البشر وقواعد غير التي يحيا بها ، وقد يصور نفسه وإياها قد اجتمعا على غير ميعاد في مركب يحطمه الموج، ليجد نفسه وإياها وحيدين في جزيرة منقطعة لا حياة فيها ولا سبيل للخروج منها أبد العمر. وهكذا تتواطئ الضرورات بأحكامها لتلبي مطالب الرغبة فإن كان هذا الصبي آثما، فليس على هذه البسيطة إلا آثم ذلك هو فضاء القلب والروح فكيف ننكره على أنفسنا فننكره على الجملة. -**صبح**: أما والله قد نطقت عني ما لو عشت دهر كله ما اهتديت إلى مثله. -محمد: عني وعنك، عني وعنكِ.

-صبح: وهو يكفيني منك ما حييت ولا زيادة [18].

-**مشهد صبح تستدعي أبا عامر في قصرها**[19].

-**مشهد في حوار: محمد يدخل قصر الزهراء عند صبح يحمل معه مجسما لقصر من فضة**[20].

-**صبح**: محمد. -**محمد**: هل أعجبك؟ فضة خالصة مكث فيه الفعلة والصناع شهورا، وقد صممته بنفسي[21].

-**مشهد أبو عامر يهدي صبح مجسم قصر من فضة**[22].

–مشهد في حوار: محمد بن أبي عامر مع صبح في حديقة القصر[23]

–محمد بن أبي عامر: وما زال الناصري منذ زمن يطعن في مشيخة المصحفي، ولا يراه مستحقا لها ويرى نفسه أحق بمرتبة الحجابة لطول بلائه وسنه بين الموالي، وقد ازدادت نقمته عليه بعد وفاة الحكم رحمه الله، إذ كان يرجو أن يدعى لتدبير دولته عوضا من المصحفي والمصحفي من جهته يكثر الكلام في غالب ولا يترك فرصة تفوته، إلا ويطعن فيه ويتهمه بالتقصير في حفظ الثغور وصار يقتر عليه في النفقة، وهذا يقول ما حاجته للنفقة الزائدة، إلا لم يستعملها في صد غارات الجلالقة، وذاك يقول كيف أصدهم وقد قلت نفقة الجيش وعدته؟ وبين هذا وذاك يتسع خرق الثغور وتدفع الأندلس مغرم الخلاف بين الرجلين. **–صبح**: وأين أنت من هذا؟ – **محمد**: الحق تريدين، لا ينكر بلاء غالب الناصري إلا جاحد، وفوق ذلك، فإن الموالي يجمعون عليه أكثر من اجتماعهم على المصحفي، وذلك لضعف رأيه وتقتيره وتردده. فيرونه طارئا على الموالي، لم يرفعه إلا صحبته القديمة مع الحكم رحمه الله. **–صبح**: وإذن أنت تميل مع غالب. **–محمد**: لابد أن أطيب خاطره، إذ أخشى أن يستوحش من الخلافة نفسها، وهو وإن كبرت سنه لا يزال رجلا قويا لا تأتمر جيوش الثغور إلا بأمره، ولكن نأخر الأمر حتى نفرغ من أمر الصقالبة فلا يحسن أن نغضب المصحفي الآن. أما الصقالبة فيجب أن نقل بقية الفحولة منهم المقيمين بالسلاح خارج القصر، ثم نخرج فتيان القصر منه، فهم رأس البلاء، وما داموا في القصر ظلت عيونهم تراقبها، أنا وأنت فلا نكون في أمر إلا تلفتنا حولنا. **–صبح**: أنا لا أتلفت الآن. **–محمد**: وأشد من ذلك أنهم لا يذخرون جهدا في الإرجاف بنا عند الناس، يقولون شغفته وشغفها حبا وهي نصيره عند ولده الخليفة، تطيع قلبها فيه فإذا أخرجناهم واستأصلنا شرهم، انصرف الناس عن تلك الأقاويل، إلى الاحتفال بالخلاص منهم، وعلت عند الناس أقدارنا فلا يسمعون بعد ذلك كلام واش ولا عذول. **–صبح**: أو تدري يا محمد؟ لطالما كابدت من انقطاع الرجاء من حبي لك، وكان عزائي في ذلك أنني مملوكة لغيرك ولا سبيل مهما هاجت الأماني، وتسلطت الأفكار والآن لست في ذمة رجل آخر، ومع ذلك لا سبيل، ألا ترى إذن أن السلطان الذي نحكم به هو السلطان الذي يحكمنا، فلا نغنم به إلا بقدر ما نغرم. **–محمد**: وكذلك الحياة لا تعطي إلا بقدر ما تأخذ، وينقضي الأجل وفي النفس منها حاجات غير مقضية. **–صبح**: وبين غالب الناصر وجعفر المصحفي، تستمرغارات الجلالقة، حتى يقتربوا من قرطبة فلا يجدوا رادعا. **–محمد**: إذا فرغنا من أمر الصقالبة، وأرجو ألا يكون هذا بعيدا، توليت قتال الجلالقة بنفسي. **–صبح**: أنت. **–محمد**: وما بي؟ **–صبح**: ليس لك، أعني القاضي، صاحب الخزانة، والمواريث، الناظر على الخاص، ثم وزير هشام نعم. ولكن الجيش، الحرب. **–محمد**: أنا محارب بالسياسة أولا، ثم بالسيف، هكذا ينبغي وهذا أنا، ولا يتم لنا الأمر إلا بالعسكر، بقي أن أقوده بنفسي إلى نصر عظيم أكسب به طاعتهم ومحبة العامة وولائهم، ذلك هو الاختبار ومناط التمكين. **–صبح**: ألم يخطر لك أني أخشى عليك. **–محمد**: طبعا، تخشين علي. وما زال المحب يخشى على حبيبه، ولا يمنعه ذلك من الأقدام إن كان أصلا له، ومن أقعده العشق عن مواقف العز فما هو أهل له، ولا كان ولا كان حبه، وقد يكون الحب أكثر كلفة من الحرب، بل قد تكون الحرب بعض تكاليف الحب[24].

-مشهد محمد بن أبي عامر مع صبح في حديقة القصر[25]

-مشهد في حوار: محمد بن أبي عامر وصبح [26]

-صبح: سهرتما البارحة طويلا ، كيف كان المجلس؟ **-محمد:** ككل مجالس السمر، **-صبح:** وكيف كان هشام؟ **-محمد:** طرب كثيرا. **-صبح:** استخفه الطرب. **-محمد:** حامل الهوى تعب، يستخفه الطرب. **-صبح:** لن يبلغ أن يحمل الهوى ويتعب بحمله. **-محمد:** أتحدث عن نفسي. **-صبح:** لو كان ما تقوله صحيحا، لكان الذي بعد الطرب، إن بكى يحق له. ليس ما به لعب. فأين دموعك؟ **-محمد:** وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعضع. **-صبح:** لا يعجزك الجواب. **-محمد:** يجب أن نحرص على ألا يتوصل إليه أحد غيرنا إلا من نأذن له . أعني في الوقت الحاضر. مازال صبيا لا يملك رأيه، وأخشى أن يتوصل إليه من لا يوافق رأينا، ويوحي إليه بغرض فيوجهه بخلاف أمرنا، وبل يمكن أن يشنع علي وعليك عنده، فيتغير قلبه، لا لا، ليس من الحكمة أن نسمح بهذا، فيخفق تدبيرنا، ويذهب جهدنا سدى، أعني حتى يبلغ رشده ويستقل برأيه، فهو الخليفة على أي حال، يكفي أن يحرضه أحدهم ثم يقنعه بأن يوقع على أمر خطر لا سبيل إلى استدراكه، هل تفهمين ما أعني؟ يجب أن نحميه من أصحاب الغرض والمطامع، وهم كثيرون، هذا حقه علينا وواجبنا له. أليس كذلك[27]؟

-مشهد في حوار: محمد مع صبح في غرفة القصر[28]

-صبح: أخشى أن تحميه إلا بقدر ما تخفيه. **-محمد:** بعد الذي كان، نعم، أحميه بكل الطرق وأخفيه عمن يريده بسوء. **-صبح:** وكيف يتدرب على الحكم. **-محمد:** وهل نبرم أمرا كبيرا دون أن نراجعه فيه ويصدر فيه كتابه. **-صبح:** الذي نكتبه له قبل عرضه عليه. **-محمد:** فما الرأي عندك إذن. نترك الناس عليه ليبث فيما يزينون له هذا مع خطر الغيلة كما وقع، وأنت بعد السلطانة أمه، وتلزمينه الليل والنهار فيتعلم منك. وهل يطمع في معلم أفضل من الأصل الذي نبت منه؟ وله من العقل والحكمة ما لو كان لبعض الرجال، لملكوا ما تحت أقدامنا مع ما للرجال من أسباب أخرى لا تكون للنساء. **-صبح:** مع ما للرجال من أسباب لا تكون للنساء حتى أم الخليفة. أنصت يا محمد لا يهمني أن يقال أحبّه، وما يهمني حقا أن يقال خبل حبها له عقلها، وأضعف رأيها وصرفها عن كل شيء حتى ولدها لأجل من تهواه، فلا والله ما كان الأمر كذلك ولن يكون، وأنا والله ما أحببتك غي وافتتانا بشبابك، بل لأني وجدت مع حبك عقلا عظيما وموهبة لا تجارى وإرادة لا تضعف، وجدت فيك شبهي، إلا أنك رجل وأنا امرأة. رجوت أن ترى بي مثل الذي رأيت فيك، ليس الوجه الحسن فحسب. بل

عقلا كعقلك وموهبة كموهبتك وإرادة كإرادتك، وقلبا كقلبك، ثم نظرت فوجدت فينا شبها آخر كلانا من منبت غير منبت السلطان، أنا سبية جارية مملوكة، وأنت فتى قادم من الريف، ليس معه إلا حلمه وموهبته، ولم تتآلف القلوب حتى تتآلف العقول والإرادة والغاية. السلطان نعم، ولا حرج، السلطان شركة بيننا، ولدي الخليفة وأنا وأنت حواليه، كل منا في حاجة للآخر، ولدي صبي يحتاج تدبيري حتى يكبر، وأنا في حاجة ولدي الخليفة ابن الخلائف. وما كان لي أن أبلغ شيئا من السلطان مهما كانت مواهبي، بغير سبب الزوج والولد، وأنا وولدي في حاجتك. فأنا لا أملك أن أبرز بنفسي في مجلس الحكم، فأصرف الأمور وأنت في حاجتي إذ فتحت لك الأبواب التي كان يحجبها عن مثلك الموالي والفتيان، وسعيت أن أنزل مواهبك منازلها التي لا تظهر إلا فيها، ومآل ذلك كلّه، عزة البلاد وصلاح أحوال العباد، فكل يصيب من تدبيرنا مناله، ولدي الخليفة ، أنا صبح البشكنجية، وأنت محمد بن أبي عامر، والأندلس هذا هو التدبير وتلكم هي الغاية،ويحيطها حب يلهم ولا يبطل، حب الأكفاء الأنداد، فلا يأتي يوم يقال فيه بذلت له الدولة وأعمالها لأن الحب أعماها عن كل سبيل، هل تفهمني يا محمد؟ هذا حب عظيم، حب سلطانة تملك عقلها وإرادتها ونفسها[29].

–مشهد محمد مع صبح في غرفة القصر[30]

–مشهد في حوار: محمد بن أبي عامر يقابل صبح[31]

–صبح: ما خبر بلغني يا أبا عامر، قل إنه ليس صحيحا إذن هو والله صحيح. مدينة ملكية جديدة. **–محمد:** أحمي الخليفة دون أن أعطل عمل الخلافة، هل هذا خطأ؟ **–صبح:** كيف تحمي الخليفة، حين تصرف أعمال الدولة بعيدا عنه وعني؟ **–محمد:** لن أكون بعيدا عنه ولا عنك، وسوف أتردد على الزهراء كما أفعل الآن، كما فعلت دائما، ولكني أصرف عنها أقدام الناس إلى المدينة الجديدة، فآمن على الخليفة أن يتوصل إليه مجرم خائن كجؤذر، ثم إنه أجدر بأن يصرف عنا أهل الارتياب والظن السيء. **–صبح:** أخشى ألا تكون حماية الخليفة، إلا بحجبه عن ملكه وملك أبيه، ولا يكون صرف العيون المرتابة عنها إلا بانصرافك عنا. **–محمد:** كيف تقولين؟ هذا أبعد كل هذه الأعوام، واختبار الزمان وهل نخرج من ريبة الناس إلى الارتياب فيما بيننا، وهل يملك الإنسان أن يخرج من جلده فيخرج من حياته كلها. إذن لا كان هذا السلطان ولا كان هذا العمر الذي كتبنا سيرته معا، أفنعود عليه بالمحو والتغيير. انظري في عيناي ماذا ترين. **–صبح:** أرى وجهي. **–محمد:** وأنا إذ أنظر في عينيك أرى وجهي، فكيف أفقد مرآة لا أرى وجهي أحسن إلا فيها، إذن أمحو نفسي وأنكرها على الجملة[32].

–مشهد محمد بن أبي عامر يقابل صبح في حديقة القصر[33]

-مشهد في حوار: صبح مع بدور[34]

-صبح: أريد أن أصدقه يا بدور، إن له لمنطقا قويا، ثم أراجع نفسي فأخشى أنني أصغي إلى قلبي لا إلى عقلي. فإن كان كذلك فلا والله لن أغفر لنفسي، ولن أغفر له، لأني بذلك أكون قد خسرت الحب والسلطان معا، فإن هوى القلب قد طغى على العقل ذهب بهما معا، أما العقل فيحفظهما معا، وكذلك حالي مع أبي عامر فإما أن نبقى معا في الحب والسلطان، وإما أن تكون القطيعة بهما معا.بيع واحد، إلا أن حيزه واسع وحيزي ضيق، سلطاني لا يخرج من ظل الرجال، ولا من حجاب النساء، قولي لي يا بدور، أشيري علي. **-بدور:** أنا، أنا ليس لي علم بالحب والسلطان، أنفقت عمري في خدمة المحبين والسلاطين، ولا أنا من هؤلاء، ولا من أولئك، ولا أعرف الآن أكان ذلك من حسن طالعي أم سوئه[35].

-مشهد صبح مع بدور في بهو القصر[36]

-مشهد في حوار: محمد بن أبي عامر مع صبح البشكنجية في الزهراء[37]

-صبح: نهار جميل رائق، أليس كذلك؟ لولا وحشة المكان. يتحدثون عن صمت القبور، ليأتوا إلى الزهراء ويروا صمت القبور، وقد كانت إلى عهد قريب تضج بحركة الناس، هنا، في الزهراء مدينة الخليفة والخلافة، التي كانت مهوى الأفئدة حيث تضطرم الأشواق والأحلام والرغبات والصبوات والهواجس والمخاوف والمطامح والمطامع، ويضيق الخط الفاصل بين الطموح الجميل والطمع القبيح، بين الدهاء المحمود، والخبث المرذول، بين التدبير الذكي والمكيدة الدنيئة، بين الحب والحرب، وها هي الزهراء الآن تعزف فيها الريح أنشودة تقول لو دامت لغيرك لدامت لك. **-محمد:** لماذا نبقى محكومين لماض لا يعود؟ **-صبح:** لأن الماضي هنا، الماضي الآن، ما الحياة إلا ماض ومستقبل، أما الحاضر فخط موهوم نرسمه في عقولنا بين اللحظة التي انقضت وللحظة التي حلت مكانها، وكله نهار يجري ألحقته بالناصري والمصحفي، وفتيان الزهراء.- **محمد:** لا أعلم من عدا عليه في جوف الليل. **-صبح:** الملك المنصور لا يعلم، لم يبق لعيونك إلا أن تقتحم السرائر وتقيم فيها ، كنت دائما قادرا على دخول السرائر والطواف فيها، كنت تحمل بيدك مصباحا، وبالأخرى كتاب الحب، فكانت السرائر تفتح لك أبوابها طائعة. من التالي أيها المنصور؟ لماذا أظن أنه سيكون الوزير عبد الرحمن بن مطرف التجيبي، صاحب سرقسطة؟ هكذا تجري الأمور الرجل القوي سوط بيدك، تنتقم به ثم تنتقم منه ، لماذا تختصر الطريق فتقتلني؟ فإني ألذ خصومك وتعلم أني لن أتوقف حتى يحكم الله بيننا، أم ترى أني لست رجلا تخشاه وإن كنت السلطانة؟ **-محمد:** ألذ خصومي وأقواهم. -صبح: هذا والله مدح. **-محمد:** وأعز الناس. **-صبح:** وهذا أجمل إلا أنه أشد علي من سيفك، إن عواطفي لك وهي باقية أبد العمر، لا تضعفني في الحرب عليك، ولكن أخشى أن تضعفني عواطفك نحوي، إن كانت صادقة، فلا تأكدها الآن حتى تنقضي الحرب بيننا[38].

(أبيات شعرية غنائية)

لقد كتمت الهوى حتى تهويبني لا أس لا أستطيع لهذا الحب كتمانا

لا بارك الله في الدنيا إذا انقطعت أسباب دنياك من أسباب دنيانـا

–مشهد غنائي[39]

الغناء: أي لك نظرة أودت بقلبي وغادر سهمها قلبي جريحا، فإما أن يكون بها شفائي وإما أن أموت فاستريحا.

–مشهد في حوار: محمد بن أبي عامر وصبح في قصر الزهراء[40]

–صبح: تستطيع أن تطمئن منذ الآن، أنا أيضا سأتفرغ للعبادة، كنت أعلم أن فوزك محتم آخر الأمر، ولكن كان يجب أن أبذل جهدي كله لم تغلبني لأنك الأقدر، ولكن لأنه ما كان بوسعي أن أقطع ذلك الحد الدقيق بين حيز الحريم وحيز الرجال، وهو حد دونه كل الرجال وأنا امرأة واحدة، السلطانة ولكن امرأة واحدة، والذين وضعوا ذلك الحد سيكذبون علي ويطعنون بي ويتهمونني، وهذا هو الخسران الحقيقي، يا أبا عامر. لا الخسارة للرجل الذي ما صرفني حبّه عن صراع السلطان، وما صرفني صراع السلطان عن حبه. –محمد: لا عاش من يتهمك أو يطعن فيك يا صبح يا أورورا. **–صبح:** ما زلت تذكر (صبح تبكي). **–محمد:** لم أنسى حتى أذكر. **–صبح:** محمد، وداعا يا محمد[41].

–مشهد محمد مع صبح بقصر الزهراء[42]

–مشهد في حوار: محمد وهشام في غرفة صبح وهي تحتضر[43]

–محمد: لا بأس عليك يا صبح. **–صبح:** لا بأس بعد اليوم يا محمد، أنا لم أستطع أن أقطع حاجز الحريم إلى دنيا الرجال، أما أنت فقد قطعته إلي، أليس ذاك الفتى هشام روحا عظيمة، حين أذن لك ولي بلحظة الوداع الأخير. **–محمد:** لا تقولي هذا. **–صبح:** أردت أن أختم سيرتي معك كما بدأتها، يا محمد، والله لقد أحببتك كما لم تحب امرأة رجلا، ولكن لا ريبة ولا دنس، أليس كذلك؟ **–محمد:** بلى، بلى. **–صبح:** لا يكون دنس في الحب الصادق العظيم، ولا اعتذار عن الحب وهو من الفطرة التي فطر الله عليها الناس. **–محمد:** بلى يا أعظم النساء والرجال، يا صبح، يا أورورا. (تفارق صبح الحياة)[44].

–محمد: وأنا أحببت كما لم يحب امرأة يا صبح يا أورورا. يا هالة الصبح البعيد يبكي[45].

–مشاهد صبح وهي تفارق الحياة بحضور محمد ابن أبي عامر وابنها الخليفة هشام المخلوع[46]

سما دراما
48:26 / 54:41

سما دراما
49:08 / 54:41

سما دراما
49:14 / 54:41

سما دراما
50:32 / 54:41

سما دراما
50:20 / 54:41

–المبحث الثاني: علاقة مبنية على المصلحة المشتركة وعشق عنيف جمعت بين كل من الملكة صبح البشكنسية ومحمد بن أبي عامر في المصادر والدراسات التاريخية

بين الشغف والسلطة هناك في الأندلس تحديدا في قصر الزهراء تقبع حكاية السلطانة **صبح** أم الخليفة **هشام بن الحكم المؤيد بالله** عاشر الحكام الأمويين للأندلس، وثالث خلفائهم. حكاية مثل حكايات الألف "ليلة وليلة" بنهايتها المأساوية، كلها حب وثقة مطلقة. بطلها؛ **صبح البشكنجية** الجارية الحسناء من مملكة (ناڤار) الإسبانية التي وصلت إلى سدة الحكم بقرطبة. سرقت قلب الخليفة **الحكم** الذي تيم بحبها ودللها وأنجبت له أولاده؛ **عبد الرحمن** الذي توفي في مهده، و**هشام** ولي العهد لابن الخليفة من **صبح البشكنجية** التي تمتعت أيام **الحكم** بنفوذ كبير في القصر، إلى أن ظهر الشاب الطموح **محمد ابن أبي عامر** من عامة الشعب، ومن أسرة عربية عريقة، نشأ طالبا للعلم، حالما واثقا مؤمنا بأن مستقبلا زاهرا ينتظره.

لهذه الشخصية الفذة، لهذا الطالب الفريد بشبابه النضر، وبعد نظره الثاقب، وبحكمته البليغة وطموحه المبكر حظوة كبيرة **في** أن يشق الطريق إلى وظائف الدولة؛ فاتصل بقصر الخلافة في قرطبة على عهد **الحكم المستنصر**، مشرفا على الأملاك الخاصة للملكة **صبح** وولي العهد، ثم لم يلبث بصفاته الأخرى أن تكفلت بالباقي، وأبدى في الأعمال المختلفة التي أسندت إليه بعد ذلك من الكفاءة وضروب النشاط والثقة المفرطة، ما كان خليقا أن يزيد في نفوذه وعلو مكانته الذي سرعان ما لفت انتباه **صبح**؛ فقد أعجبت به، ومحضها هو نفسه وخدمته، فبدأت بدعمه والوقوف بجانبه، إذ تدرج المناصب ونال رضاها، ورضى الخليفة **الحكم**.

كان **ابن أبي عامر** يطمع في أكثر من ذلك، فأخذ يستميل الأميرة إليه، ويرضي جميع من في القصر، حتى أحبه الجميع، وعينه الخليفة ناظرا لخزانة الدولة. ثم عينه أيضا مديرا مطلقا لإدارة سك النقود. وهكذا صار **ابن أبي عامر** أكبر رجل يشار إليه في الأندلس بعد الخليفة. وكانت الملكة **صبح** في خلال ذلك تلحظه برعايتها، ولا تذكره عند الخليفة إلا بما يسر، حتى تفتح له قلبه وسبغ عليه نعمه. وحقيقة الأمر أن هذا الرقي السريع الذي ناله **ابن أبي عامر** كان يرجع إلى حب **صبح** له أكثر مما يعزى إلى نشاطه وبراعته. فقد عشقته، وكان يؤكد هذه الصفات في نظرها شيخوخة زوجها، وكان هو يطمعها في نفسه، ويظهر لها العشق؛ طمعا في الصعود إلى أعلى المراتب التي كان يشتهيها؛ فكان إذا غاب عنها تواترت منه الهدايا، وكان مما أهداها مجسما كبيرا لقصر "الزهراء" المصنوع من الفضة الخالصة، وقد نقشت جدرانه أبدع نقش، وقد حملت هذه الهدية باحتفال كبير، اصطف فيه الناس على جوانب الشوارع، منبهرا بهذه التحفة العجيبة. وهكذا سيطر **محمد ابن أبي عامر** على تفكير وقلب السلطانة.

لن أكلف نفسي عناء الجري كثيرا وراء البحث عن حقيقة العلاقة التي كانت تربط بين **صبح البشكنجية** أم الخليفة **هشام المؤيد الأموي** الشاب التافه المشغول طول يومه في حدائق القصر بقرطبة، وبالحديث إلى الجواري والخصيان ومشاركتهم في لهوهم وعبثهم ومجونهم. تحكم الأندلس باسمه، ولا يكاد هو يعرف شيئا عما يجري فيها من الأمور العظام. إنه الغلام اليافع التي خلف أباه **الحكم المستنصر** على كرسي الخلافة الأموية بالأندلس، وهو في الثانية عشرة من عمره. سقط ضحية لمؤامرة؛ والدته **صبح**، و**الحاجب المنصور** اللذان كانت تربطهما علاقة مبنية على المصلحة المشتركة، والعشق العنيف. على أن هذه العلاقة بينهما قد استشعر **الحكم** شيئا منها قبل وفاته.

مع تولي الصبي **هشام** الحكم، كانت العلاقة بين **صبح** و**ابن أبي عامر** تزداد قوة، وكان **ابن أبي عامر** يرى في تلك المرأة التي تجتمع في يدها السلطة بوصايتها على الخليفة الطفل، أداة لينة يستطيع أن يخضعها لإرادته تحقيقا لمشاريعه البعيدة الأمد. أما من جانبها فقد كانت **صبح** تثق في **ابن أبي عامر**، وتضع فيه كل أمالها لحماية عرش ابنها، وبالتالي حماية سلطتها.

كان على **محمد بن أبي عامر** أن يلعب دورا خطيرا جدا وحاسما في تثبيت الخلافة لولي العهد بعد وفاة **الحكم المستنصر** بالقضاء على **المغيرة**، أخ الخليفة الذي كانت بعض القيادات في الجيش ترشحه للخلافة. وكان من الطبيعي أن يرفع من مكانة **محمد بن أبي عامر** وأن يمكن من سلطانه، كما كان من الطبيعي أيضا أن يقربه من قلب عشيقته **صبح** أرملة الخليفة الراحل ليدخل عامل المصلحة المشتركة في المعترك، كي يزيد من مثانة العلاقة بينهما. فكل منهما يشده طموح أشد ما يكون الطموح، الذي هو أعنفه للحكم والسلطان واستعمال النفوذ، ومن مصلحة كل منهما أن يعتقل الخليفة الصغير في القصر، وأن يحل نهائيا بينه وبين الناس سواء كانوا من عامة الشعب، أو من رجال الدولة المسؤولين. يكبر الخليفة شيئا فشيئا ليكبر معه عجزه، وليكبر في نفس الوقت نفوذ **صبح** وعشيقها **محمد**. والذي سيقضي نهائيا على كل منافسيه، ليصبح حاجب الخليفة والحاكم الفعلي للأندلس.

بدأ الإحساس بالخوف والخطر يخالج قلب **صبح** على مركزها ومركز ولدها الخليفة **هشام** حينما أصبح **محمد بن أبي عامر** القوة الوحيدة في الأندلس، يتزيى بزي الخلافة، وينتحل مظاهرها كلها، بل كان بإمكانه أن يطيح باسم الخلافة الأموية، وأن يؤسس دولة أخرى جديدة بالأندلس. ولكنه اكتفى بأن يبقى خليفة بالفعل، وأن يتخذ لنفسه لقب (**المنصور الحاجب**)، ويترك اسم الخلافة **لهشام المؤيد**.

كان **المنصور الحاجب محمد بن أبي عامر** رجل سياسة وحكم، كما كان رجل علم وسياسة ومكر ودهاء، رجل عنف وقوة وصرامة. الرجل الذي لم يتردد مرة، في أن يقدم عنق ولده للسيف عندما كاد هذا أن يصبح خطرا على المصالح العليا للدولة. الرجل الذي كتب على الأمير المغربي المغراوي **زيري بن عطية** أن يكون خصمه، بعد أن كان حليفه والحاكم باسمه في المغرب الأقصى. رجل حرب فقد بلغت حروبه مع النصارى في شمال الأندلس ما يزيد عن الخمسين معركة، لم ينهزم في واحدة منها. حتى ملأ الأندلس غنائم وسبيا من بنات الروم وأولادهم ونسائهم، ويروى أنه كان عند رجوعه من كل معركة يجمع الغبار الذي يعلق منها بثيابه، وأنه قد اجتمع له من ذلك إناء ممتلئ غبارا، أمر أن يدفن معه في قبره.

كل أخبار **الحاجب المنصور** تصل كلها إلى العشيقة **صبح** أم الخليفة المحجوز في القصر، والمرأة البئيسة التي كانت تربطها من قبل **بالمنصور بن أبي عامر** علائق متعددة، والتي توت اليوم كمدا وخوفا على مستقبلها، ومستقبل ابنها **هشام المؤيد**. باتت **صبح** ترى أن فرصتها النادرة التي ظلت تبحث عنها للانتقام من صاحبها القديم، والمستبد اليوم بها وبابنها وبعرش الخلافة، أن تشرع في البحث عن وسيلة للاتصال **بزيري بن عطية** الوزير الأموي في المغرب الذي حشد رجاله للتمرد على **ابن أبي عامر**؛ تشجعه وتعده وتمنيه الأماني، وتغريه بالمال، إنقاذا لنفسها ولولدها. لكن محاولات **صبح** بخصوص حماية سلطتها فشلت بمجرد ما وصل الخبر **للمنصور**.

هذه كانت نتائج الحب والثقة المطلقة التي لم تستوعب فيها السلطانة أن **محمد ابن ابي عامر** أصبح منافسا لها وللخليفة على السلطة، إلا عندما بنى مدينة "الزاهرة"، نقل فيها دواوين الإدارة والحكم إلى مدينته الجديدة، وبنى فيها مساكن بطانته وحرسه، وأقام حولها سورا ضخما، ونقل إليها خزائن المال والسلاح، وإدارات الحكم؛ وأقطع ما حولها للوزراء والقادة وكبار رجال الدولة، فبنوا القصور، وأُنشئت الشوارع والأسواق الفسيحة. وهنا أدركت **صبح** خطورة هذا الرجل عليها، وعلى العائلة الحاكمة.

لم يستطع الداهية المستبد بعرش الخلافة الأموية في الأندلس، والتي كان يحكمها بالمعرفة والمكر والحديد والنار **المنصور بن أبي عامر** الذي وصل إلى مجاهل لم تطأها قدم مسلم من قبل، واكتسحت جيوشه أراضي (قشتالة)، و (ليون)، و(أراغون)... إلى جنوبي فرنسا، وكانت غزواته سبعا وخمسين غزاة [47]، لم يفل له فيها جيش، ولم تنكس له راية، ولا أصيب له بعث، ولا هلكت سرية. و هو أمر لم تحظ به أية دولة من

دول الإسلام في عصورها الزاهية، بل هو من غرائب التاريخ الذي لا يعرف له نظير! حتى استطاعت الخيانة التي انبعثت من صفوفه هو نفسه ففرقت جيشه، وظلت تعذبه إلى أن أسلمت روحه إلى التراب.

-فهل فعلا تحدثت المصادر والدراسات التاريخية عن قصة عشق **صبح البشكنسية** و**محمد بن أبي عامر**؟ وكيف تم ذلك؟

كانت **صبح البشكنسية** حظية **الحكم**، وأم ولده **هشام** الخليفة الصبي، وكانت قد منحت الوصاية على ولدها، واكتسبت بذلك صفة شرعية في الاشتراك في الحكم وتدبير الشئون. فمن ذلك كانت تلك المرأة، التي لبثت ردحا طويلا من الزمن، تسيطر بسحرها ونفوذها، على خلافة قرطبة، وتشترك في تدبير شئونها، في السلام والحرب، مع أعظم رجالات الأندلس؟ لسنا نعرف الكثير عن نشأتها وحياتها الأولى. وكل ما تقدمه إلينا الرواية الإسلامية في ذلك، هو أن **صبحا** كانت جارية (بشكنسية) أي (نافارية). ولا تذكر الرواية إن كانت قد استرقت بالأسر في بعض المواقع، أم كانت رقيقا بالملك والتداول، ولكنها تصفها بالجارية والحظية؛ و**صبح** أو **صبيحة** ترجمة لكلمة **Aurora** الفرنجية، ومعناها الفجر أو الصباح الباكر، وهو الاسم النصراني الذي كانت تحمله **صبح** فيما يظهر. والتي ظهرت في بلاط قرطبة في أوائل عهد **الحكم المستنصر**، وكانت فتاة رائعة الحسن والخلال، فشغف بها **الحكم**، وأغدق عليها حبه وعطفه، وسماها ب "جعفر" ولم تلبث أن استأثرت لديه بكل نفوذ ورأي. ثم ازداد هذا النفوذ توطدا وتمكنا، حينما رزق منها الحكم بولده **عبد الرحمن** ثم بولده **هشام** حسبما تقدم. ولم تك **صبح** يومئذ جارية أو حظية فقط، بل كانت ملكة حقيقية، ولا تشير الرواية الإسلامية إلى أنها غدت زوجة حرة **للحكم المستنصر**، بعد أن كانت جارية وحظية. ولكن هنالك ما يدل، على أن **صبحا**، كانت تتمتع في البلاط والحكومة بما يشبه مركز الملكة الشرعية. فالرواية الإسلامية تنعتها بالسيدة **صبح** أم **المؤيد**، أو السيدة أم **هشام**. وتصفها التواريخ الإفرنجية بالسلطانة **صبح**. بيد أن هناك ما يقطع مع ذلك بأنها بقيت من الوجهة الشرعية جارية وأم ولد فقط، وأن **الحكم** توفي عنها دون تغيير في مركزها الشرعي[48].

استمرت **صبح** أيام **الحكم** تتمتع في البلاط والحكومة بنفوذ لا حد له، فكان **الحكم** يثق بإخلاصها وحزمها، ويستمع لرأيها في معظم الشئون. وكانت كلمتها هي العليا، في تعيين الوزراء ورجال البطانة، وكان الحاجب **جعفر بن عثمان المصحفي** يجتهد في خدمتها وإرضائها، ويستأثر لديها ولدى **الحكم** بنفوذ كبير. واستمرت الحال حينا على ذلك حتى دخلت في الميدان شخصية جديدة قدر لها أن تضطلع فيما بعد بأعظم قسط في توجيه مصاير الأندلس. تلك هي شخصية **محمد بن أبي عامر**.

ينحدر **محمد بن أبي عامر** من أسرة عربية يمنية، دخل جدّه **عبد الملك المعافري** أرض الأندلس في جيش **طارق بن زياد** سنة 92 هـ/ 710 م[49]، وأبدى ضروبا من الشجاعة والإقدام في هذا الفتح، ويرجع إليه الفضل في الاستيلاء على مدينة قرطاجنة شرقي الأندلس، واستقر بعد ذلك "بنوعامر" في حصن (طرش) **Torrox** الواقع على نهر يسمى وادي (آنه) **oudi Ana** في شمال شرق الجزيرة الخضراء [50]. وقد برز منهم القضاة والولاة والعلماء، ولهذا نشأ **محمد بن أبي عامر** نشأة علمية حسنة، والذي انتقل إلى قرطبة يطلب فيها العلم والمعرفة. فدرس الحديث وقرأ اللغة العربية على يد كبار شيوخها؛ من أمثال: **أبي علي القالي البغدادي**، و**أبي بكر بن القوطية**، و**أبي بكر بن معاوية القرشي** وغيرهم من شيوخ المسجد الجامع [51].

اقتفى **محمد بن أبي عامر** أثر عمومته وخؤولته الذين كانوا يشتغلون بمهنة القضاء[52]، لما أتم دراسته دفعته الحاجة إلى التماس الرزق من كتابة العرائض التي كان يرفعها أصحاب الظلامات للخليفة[53]. في البداية اتخذ مكان شديد التواضع بالقرب من القصر، فهو يتولى تحرير الصحائف والطلبات وعليه أن يرضى بالراتب البسيط الذي يحصل عليه كاتب عمومي [54]. ثم بدأ يكتب فيه لمن يعن له من الخدم والمرافقين للقصر، وعامة الناس الشكاوي والعرائض والالتماسات، وسرعان ما نبغ في هذه المهنة، فاستهوته قلوب الناس، وذاع صيته بينهم وبخاصه عند خدم القصر وغلمانه، لما كان يتمتع به من ذكاء ونشاط وقوة الشخصية مع مهارة في معاملة الناس[55]، وبراعته في الكتابة، فكان يحسن عرض الموضوع، ويكتب بعبارات أدبية جذابة، وأسلوب ممتع[56].

سمعت به السيدة **صبح** أم **هشام المؤيد** عن طريق من كان يأنس إليه من فتيان قصر الخليفة [57]. ثم طلبت من يكتب عنها، فترقى إلى أن كتب عنها فاستحسنته، وذكرته عند **الحكم** وطلبت منه أن يقوم **ابن أبي عامر** بخدمته...[58] ونشأة **المنصور** مثال رائع لما يمكن أن يعمله الذكاء والشجاعة والأثرة في مملكة إسلامية، حيث كانت الطريق إلى المعالي ممهدة للعبقريين كيفما كانت بدايتهم موئسة مثبطة. وما زال يتدرج بلباقة حتى اتصل بكبير الحجاب الذي كانت له في هذا القصر سلطة رئيس الوزراء[59].

لم يلبث **الحكم الثاني** أن طلب وكيلا ماهرا لإدارة أملاك ابنه البكر **عبد الرحمن** الذي كان في الخامسة من عمره[60]. إذ بات من الضروري البحث عن شخص ذكي ومؤدب ومستقيم ليقوم بمهمة، "النظارة"، ويعرض شؤونها على الأميرة الأم. فكان الوضع الطبيعي تعيين أحد الصقالبة لمثل هذه المهام، لكن **المصحفي** وقد أخذته المفاجأة بما طلبت منه **صبح**، عرض عليها عددا من المرشحين ومن بينهم ابن **أبي عامر**، بلغ خبره السيدة **صبح** عن طريق خدم القصر وغلمانه، وكانت في حاجة لمثل هذا الرجل ليدير لها أملاكها الخاصة، فاستخدمته عندها[61].

قبلت تعيينه لأموال الأمير **عبد الرحمن** يوم الثاني والعشرين من فبراير عام 967م، التاسع من ربيع الأول 356هـ ولما بلغ السابعة والعشرين من العمر[62]، إذ ذاك، حبب **المصحفي** إلى **الحكم الثاني أبي عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر، محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري**[63] وزكاه عنده، ولم يقع هذا التعيين موقع الرضى من الخليفة وحده فحسب، بل ومن الجارية السلطانة **صبح** أيضا[64]، والتي كانت لها دالة كبيرة على زوجها **الحكم الثاني**[65]، وكانت **صبح** بشكنسية المولد، اسبانية من بلاد الباسك شمال اسبانيا ويسميها العرب (البشكنس) [66]. والتي بدأت حياتها في القصر جارية مغنية محظية عند **الحكم** [67].

عين **ابن أبي عامر** مشرفا على أملاك **عبد الرحمن** بمرتب شهري قدره خمسة عشر دينارا[68]. كانت وظيفته الصغيرة هذه مدخلا لتلك الصلة بينه وبين **صبح** أم الأمير، والتي ستتحول إلى إعجاب متبادل وعلاقة وثيقة تفتح له دروب التقدم والعلى[69]. لم يكن **ابن أبي عامر** يدع فرصة إلا ويغتنمها[70]. فلم يتأخر في عمله وواجباته، وأظهر كفاءة ممتازة وقدرة فائقة في وظيفته حتى جذب أنظارها إليه[71]. وازدادت اهتماما به، وصاحبه التوفيق فاختارته لإدارة أملاكها الخاصة هي أيضا [72]. وهكذا بسم الحظ **لمحمد**، وأعجبت الملكة بآدابه، وحسن مظهره[73].

لم تخف **صبح** رضاها عنه. وكان يقدم لها التحف الثمينة والهدايا المختلفة[74]، بل وسرعان ما تحول ذلك الإعجاب إلى عشق، فاستهوته وغلب على قلبها، لدرجة أن الخليفة **الحكم المستنصر بالله** صرح بذلك علنا أمام خواصه قائلا: "إن هذا الفتى قد خلب عقول حرمنا بما يتحفهم به"[75]. ثم قال يوما لبعض ثقاته: "ما الذي استلطف به هذا الفتى حرمنا حتى ملك قلوبهن، مع اجتماع زخرف الدنيا عندهن، حتى صرن لا يصفن إلا هداياه، ولا يرضين الا ما أتاه، إنه لساحر عظيم أو خادم لبيب، وإني خائف على ما بيده"[76].

وقع **محمد ابن عامر** من قلب السلطانة **صبح** موقعا لا شيء فوقه؛ فتزيدت في بره، وتكفلت بشأنه، حتى تحدث الناس بشغفها به[77]. ولم تلبث علاقاتهما أن غدت حديث أهل قرطبة، وعرف الجميع بأنها قد استحالت إلى علاقات غرامية[78]. تمكنت أواصر المودة بينهما تمكنا عظيما، مما أتاح لبعض الوشاة أن يلغوا بالقول السيء، كذلك أغدق **ابن أبي عامر** هداياه على غيرها من الحريم فأسرهن كرمه وأعجبتهن رقة حديثه وجميل خصاله، وكان **الحكم** يشهد هذا السحر الذي ينفثه **ابن أبي عامر** إلى نساء القصر جميعا، ويعجب له، ولم يفهم الخليفة العجوز شيئا[79]. ولم تلبث أن زادت **صبح** حظوة عندما أنجبت للحكم **هشاما**، وأصبحت بذلك أم ولد، ومنذ ذلك الحين قوي نفوذها في القصر، ولا سيما في الفترة التي كان **الحكم** فيها مريضا، فأتيح لها أن تكون هي المدبر في شؤون الدولة.

ومنذ ذلك الوقت أخذت السيدة **صبح** تتوسط له عند الخليفة **الحكم المستنصر**، وتذكره بمناقبه وتنوه بأعماله وسلوكه، حتى ولاه قضاء بعض النواحي بكورة "رية" ثم رقاه إلى الإشراف على أموال الزكاة والمواريث باشبيلية، وإدارة الشرطة الوسطى والعليا وأمانة السكة[80]، واستطاع بذكائه المتوقد ودهائه وحزمه أن يسيطر على الخليفة وشؤون الخلافة، والسلطانة **صبح** نفسها.

عهد **الحكم المستنصر بالله** بولاية العهد، لابنه **أبي الوليد هشام**، وهو طفل صغير لا يتجاوز العاشرة من عمره، وذلك سنة 365 هـ /975 م، أي قبل وفاته بسنة واحدة، وأخذت له البيعة من الخاصة والعامة في مدينة قرطبة، وسائر كور شبه جزيرة الأندلس، والمناطق الأخرى

المنضوية تحت سلطان الخلافة الأندلسية فيما وراء المضيق ببلاد المغرب[81]. احتاط **الحكم** لهذا الأمر قبل وفاته، وكأنه يعرف مسبقا ما ستؤول إليه الخلافة بعد وفاته، فحاول أن يعمل ما يمكن عمله لضمان استمرارها في يد ولده **هشام المؤيد بالله**، فجمع كل من يثق به من كبار رجال دولته، وكتب له العهد أمامهم وأشهدهم على ذلك، ولم يكتف بهذا، بل أخذ منهم العهود والمواثيق لمؤازرة ابنه الخليفة الصغير، والإخلاص له، ومساعدته في تسيير شؤون الدولة. لكن هذه العهود والمواثيق ضرب بها عرض الحائط، بعد وفاة **الحكم** مباشرة سنة 366 هـ /976 م ، بظهور بوادر الخلاف والانشقاق في صفوف رجال الدولة، فانقسموا إلى فئتين:

. فئة تتكون من العسكريين، وأخرى من المدنيين، وكل واحدة لها وجهة نظرها في هذا الموضوع، تدفعها في ذلك مآربها وأطماعها الشخصية، وكان العسكريون وهم الصقالبة ورجال الجيش والحرس الخليفي، أكثر جمعا وأحد شوكة من المدنيين، يتزعمهم **فائق** المعروف **بالنظامي**؛ صاحب "البرد" و"الطراز" و**جوذر**؛ صاحب "الصاغة" و"البيازرة "[82].

. أما المدنيون وعلى رأسهم رئيس الوزراء الحاجب، **جعفر بن عثمان المصحفي**، فقد تمسكوا بوصية **الحكم** وحرصوا على تنفيذها، لعل ذلك يخدم مآربهم وأطماعهم، وهو الاستئثار بزمام الأمور في الدولة.

كادت أن تدور رحى حرب أهلية دامية خطيرة في قرطبة، بين الفئتين المتنافستين، لولا أن تدارك الموقف بسرعة؛ **جعفر الصحفي** وأصحابه الوزراء، فأنهوا هذا السباق بتدبير مؤامرة أودت بحياة مرشح العسكريين، **المغيرة بن عبد الرحمن الناصر لدين الله**، قام بتنفيذها شخصية جريئة وطموحة هو؛ **محمد بن أبي عامر المعافري اليمني**. وبذلك رجحت كفة الوزراء وخلا الجو **لهشام** من المنافسين على كرسي الخلافة[83]. غير أن الخليفة **هشام** لم يكن له في السلطان شيء، لا من قريب ولا من بعيد لصغر سنه، فقد استحوذت على زمام الأمور في بادئ الأمر أمّه السيدة **صبح البشكنسية**[84].

تاريخ الخلافة الأندلسية في الفترة ما بين سنة 366 هـ/976 م ونهاية القرن الرابع الهجري و396 هـ/ 1008م، ما هو إلا تاريخ أسرة جديدة تمكنت من فرض وجودها، والاستبداد بالحكم في قرطبة دون أصحابها الشرعيين، هي الأسرة "العامرية"؛ المتمثلة في **محمد بن أبي عامر**، وولديه من بعده **عبد الملك المظفر** و**عبد الرحمن الناصر** المعروف ب (شنجول)، وهي أسرة ليست من البيت الحاكم، وإنما ساعدها حسن الطالع أن تصل إلى السلطة بفضل موهبة المؤسس الأول **محمد بن أبي عامر** وطموحه، إذ استطاع أن يستولي على أمور الدولة ، وأن يتصرف فيها بيد من حديد ، فأسس بذلك دولة "عامرية" داخل الإطار الشرعي للخلافة الأموية في الأندلس امتدت طيلة أيامه، وأيام ولديه من بعده نحو ثلاثة وثلاثين سنة، حتى أن المؤرخين أرخوا لهذه الفترة تحت عنوان: "تاريخ الدولة العامرية"[85].

كانت العلائق بين **صبح وابن أبي عامر** تزداد كل يوم توثقا، ولا سيما منذ وفاة **الحكم**. وكان **ابن أبي عامر**، يرى في تلك المرأة التي تجتمع في يدها السلطة الشرعية، بوصايتها على ولدها الطفل أداة صالحة هينة يستطيع أن يخضعها لإرادته، ويسخرها لمعاونته على تحقيق مشاريعه البعيدة المدى. وكانت **صبح** من جانبها تغدق كل عطفها وثقتها على هذا الرجل القوي الذي سحرها بخلاله وقوة نفسه، وباهر كفاياته، وتضع فيه كل أملها لحماية العرش الذي يشغله ولدها الفتى. فلم تمض أيام قلائل على تولية **هشام**، حتى عين حاجب أبيه **جعفرا المصحفي** حاجبا له، ورقى في نفس الوقت **ابن أبي عامر** من "خطة الشرطة" إلى مرتبة الوزارة، وجعله معاونا **للمصحفي** في تدبير دولته. وبذلك أشرك **ابن أبي عامر** في تولي السلطة المباشرة مع **المصحفي**، ولم يعترض أحد من رجال القصر أو الدولة على ذلك الاختيار، سوى الحاجب **جعفر**، فقد كان يرى في هذا التعيين انتقاصا لسلطته، ونكرانا لجميله، بعد أن حمل أعباء السلطة كلها دهرا. وكان يرى في **ابن أبي عامر** بالأخص منافسا يخشى بأسه، ويرتاب في نياته وأطماعه. ومن ذلك اليوم يضطرم بين الرجلين صراع عنيف صامت لم يترك ثمة شك في نتيجته. وكان **ابن أبي عامر** هو الأقوى بلا ريب، سواء بمواهبه وقوة نفسه، أو بمؤازرة **صبح** له. ولم تكن هذه المؤازرة ترجع فقط إلى ذلك العشق القديم، الذي تضطرم به جوانح **صبح** نحو ذلك الرجل القوي، ولكنها كانت أيضا ترجع إلى ثقتها في مقدرته وبراعته، وفي أنه هو الرجل الوحيد الذي يستطيع أن يحمي ملك ولدها الفتى، وأن يوطد الأمن والسلام في المملكة. كان **ابن أبي عامر** في الواقع هو السيد المطلق، وكانت **صبح** تفوض إليه كل سلطة وكل أمر، فكان يدير الشئون كلها بمهارة، تثير إعجاب خصومه وأصدقائه على السواء[86].

أخذ **محمد بن أبي عامر** يشق طريقه كقائد عسكري وسياسي بإدارة قوية وسعي لا يكل، منتهزا في ذلك الفرص المتاحة لتقوية نفوذه، وتوسيع سلطانه، وفرض هيبته على حساب زملائه من كبار رجال الدولة، واستطاع بدهائه أن يمكر بهم، وأن يوقع بينهم حتى قتل بعضهم بعضا بدون وازع أخلاقي87. مع الانتصارات التي صارت أمرا ملتصقا ب **ابن أبي عامر**، والذي بدأ يباشر خطته للاستفراد بالسلطة كاملة، وإزاحة منافسيه أصدقائه السابقين.

دحض **ابن أبي عامر** تهمة "الحجر" على الخليفة **هشام** بالتقرب منه، وإظهار الولاء والطاعة له، والخروج معه في شوارع قرطبة في موكب، والخليفة يحادثه وهو يحادث الخليفة مظهرا الخضوع والخشوع له، وحدد من إقامة السيدة **صبح**، وأحاط قصرها بالجواسيس، وشدد الرقابة عليها، حتى قضت بقية حياتها في زوايا النسيان[88].

لم يعد ل **محمد بن أبي عامر** منافس في كامل الخلافة، فهو الآن قائد الجيش وحاكم قرطبة والحاجب، وحليفته هي أم الخليفة والوصية عليه، وربما عشيقته وفقا للعديد من الروايات التاريخية، فمن سيختار بعد ذلك؟ هل سيختار عشيقته (أورورا)، ويظل في هذه المرتبة من السلطة، أم سيواصل مسيرته ولن يوقفه أحد سوى قلبه؟

يبدو أن **محمد بن أبي عامر** اختار السلطة على العشق، فقد عزل الخليفة الشاب نفسه، ووضع على قصره حرسه الخاص، وأشاع بين العامة أن الخليفة قرر التفرغ للعبادة تاركا أمور الدولة والناس لمربيه وحاجبه وقائد جيشه، وصاحب السلطات الكاملة في دولة الخلافة في الأندلس؛ **محمد بن أبي عامر**. (الحاجب المنصور) مؤسس الدولة العامرية التي حكمت الأندلس باسم الخلافة الأموية ودحا من الزمان.

اقترب الوعد وحان الهلاك وكل ما تحذره قد أتاك

خليفة يلعب في مكتــب أمه حبلى وقــاض[89]

هذه الأناشيد اللاذعة وأمثالها تعبر عن روح العصر، وتدل على ما كان يثيره موقف **صبح** وسمعتها، من الحملات المرة. وتتفق الرواية الإسلامية في الإشارة إلى هذه العلاقة الغرامية التي استطال أمدها، بين **صبح** و**ابن أبي عامر**، وإن كانت تؤثر التحفظ والاحتشام، ولم نجد ما يعارضها سوى كلمة أوردها **المقري** لكاتب مغربي يدافع فيها عن **ابن أبي عامر**، ويدفع عن **صبح** تهمة شغفها به، ويرمي أولئك الشعراء بالتحامل والكذب[90].

على أنه يبدو أن الحوادث قد بدأت تتطور من ذلك الحين، وأن موقف **صبح** قد بدأ يتخذ وجهة أخرى. فقد أدركت أخيرا ما يرمي إليه **ابن أبي عامر**، وأدركت خطورته على مستقبل ولدها، ومستقبل الأسرة والخلافة، فثارت نفسها سخطا. وكانت قد جاوزت الأربعين يومئذ، وقد تصرم ذلك الحب القديم، الذي شغفها **بابن أبي عامر** دهرا، وأضحت تبغض ذلك الرجل الذي سلب ولدها، وسلبها كل نفوذ وسلطة، ومن ذلك الحين تنقلب **صبح** إلى خصومة **ابن أبي عامر** ومقاومته. وقد كان من الصعب، إزاء عزم **ابن ابي عامر** ويقظته، وسلطانه الشامل، أن تستطيع **صبح** القيام بأية عمل مباشر، فلجأت عندئذ إلى العمل المستتر، وأخذت تبث في نفس ولدها **هشام**، بغض **ابن أبي عامر** والسعي إلى مناوأته واسترداد سلطانه منه، وتولى مقاليد الحكم بنفسه، وشهرت بواسطة أعوانها من الناقمين، على **ابن أبي عامر**، دعاية شديدة، واتهمته بأنه يسجن الخليفة الشرعي ويحكم رغم إرادته ويغتصب سلطته. والظاهر أنها لم تقف عند هذا الحد من المقاومة الأدبية، وأنها حاولت في نفس الوقت، أن تقوم بمحاولة عملية لمقاومة **ابن أبي عامر** وإسقاطه[91].

بالطبع لم يرق هذا ل **صبح**، إذ عزلها **الحاجب المنصور** ورفع يدها عن التصرف في أموال القصر، ويئست هي من محاولة استرداد ملك ابنها الذي أضاعته بتحالفها مع الرجل الذي عشقته، بعدها بفترة تسمى **ابن أبي عامر** بلقب لم يسبقه أحد إليه من رجال الدولة؛ (الملك المنصور) ودعي له على المنابر بعد الخليفة، كما صكت النقود باسمه إلى جانب الخليفة بالطبع. أصبح **ابن أبي عامر** الملك الحقيقي الأوحد، والمستفرد بالحكم في الأندلس قاطبة، لكنه ليس من النسل الأموي، بعد أن اختار لنفسه شرعية الجهاد ليبرر بها استبداده بالحكم، غازيا خمسين غزوة، ويقال أربعا وخمسين غزوة لم يهزم في واحدة منها أبدا، زادته شرعية ليس فقط أمام عامة الناس، وإنما أمام البيت الأموي المهزوم.

ختاما:

حاولت الملكة (أورورا) مقاومة نفوذ **ابن أبي العامر** الذي أصبح يلقب **بالحاجب المنصور**، لكن الوقت قد مضى وسار هذا الأخير مع وزرائه إلى قصر الخليفة **هشام المؤيد** الذي أنكر خصومته، واعترف بالفضل له. أدت مشاعر **صبح** إلى التهلكة، وأوشكت أن تتسبب بانقلاب سياسي على ابنها الخليفة **هشام بن الحكم**. ومما كان يقرح في صدرها ويسهدها ويروعها، أن عشيقها **ابن أبي عامر** لم يكن ماكرا ذكيا فحسب، بل كان أيضا شجاعا محبوبا عند جميع أفراد الأندلسيين؛ فقد كان يقود المسلمين بنفسه في حروبهم مع الإفرنج، وينتصر بحسن تدبيره وإحكام مكايده عليهم، حتى صار يسمونه **المنصور**، ونسي الناس اسمه القديم، وصار لا يعرف إلا بهذا الاسم.

أخيرا رأت الملكة **صبح** ابنها **هشام** خليفة مؤمرا بعد أن كان صورة لا قيمة له. ولما فشلت في كل محاولاتها؛ أيقنت أن المقاومة محض عبث، ورضخت للمصير الذي آل إليه ولدها بعد أن ساهمت في صنع ذلك المصير، وبذلك لجأت إلى العزلة، ولم يسمع عنها شيء بعد ذلك، ولا أحد يعرف على وجه التحديد تاريخ وفاتها. وكأن ذكرها قد طمس مع أفول شمس الدولة "الأموية"، وصعود شمس الدولة "العامرية"، بعد أن كانت ملكة عظيمة، بل امرأة مثل الكثير من النساء اللواتي أعماهن هيام العشق والثقة العمياء. شيعها **الملك المنصور** بنفسه، وحزن عليها حزنا شديدا، وتصدق على قبرها بأموال طائلة، معترفا بدورها فيما وصل إليه، ومقرا بعشقها له الذي جعلها تضحي بكل شيء من أجله. (أورورا) لم تكن يوما غير وردة في ربيع الأندلس يحمل شذاها التاريخ ملوكا ودولا وحكايات شتى، يتناقلها الرواة بغموض مغر وحقيقة مشتهاة، حتى ظلّت قصتها لقرون أحد أغرب قصص العشق في الأندلس تفردا.

.

الهوامش:

[1]– محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ج 1، (مصر: مكتبة الخانجي، ط 4، 1997م)، **523**. رينهرت دوزي، **المسلمون في إسبانيا**، تحقيق: حسن حبشي، ترجمة وتعليق وتقديم: حسن حبشي، ج 2، (مصر: الهيئة المصرية للكتاب، 1994م)، 75.

[2]. دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 8، إنتاج: 2003، التوقيت: 18:22.

[3]. دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 8، إنتاج: 2003، التوقيت: 24:43.

[4]. دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد خارجية، الحلقة 8، إنتاج: 2003، التوقيت: 18:18- 18:26- 18:38- 18:40- 19:27- 19:38- 19:52- 20:08- 21:49- 22:58- 24:33.

[5]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 9، إنتاج :2003، التوقيت: 44:42.

[6]. دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 9، إنتاج :2003، التوقيت:44:28.

[7]. دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 9، إنتاج: 2003 ، التوقيت : 44:09 و 45:08 و 45:18 و 45:19.

[8]. دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 10، إنتاج: 2003، التوقيت: 16:05 و 17:51.

[9]. دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 10، إنتاج: 2003، التوقيت: 16:42.

[10]. دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 10، إنتاج: 2003، التوقيت: 16:05 و 17:51.

[11]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 10، إنتاج: 2003، التوقيت: 18:31.

[12]. دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 10، إنتاج: 2003، التوقيت: 22:05.

[13]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 10، إنتاج: 2003، التوقيت:18:16-18:18.

[14]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 10، إنتاج: 2003، التوقيت: 27:38.

[15]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 10، إنتاج: 2003، التوقيت: 31:32.

[16]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 10، إنتاج: 2003، التوقيت: 28:10.

[17]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 11، إنتاج: 2003، التوقيت: 14:50 و 15:08.

[18]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 11، إنتاج: 2003، التوقيت:17:19.

[19]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 11، إنتاج: 2003، التوقيت: 14:50 و 15:08.

[20]. دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 11، إنتاج: 2003، التوقيت: 47:52.

[21]. دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 11، إنتاج 2003، التوقيت: 49:00 .

[22]. دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 11، إنتاج: 2003، التوقيت: 48:40.

[23]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 19، إنتاج: 2003، التوقيت: 35:19.

[24]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 19، إنتاج: 2003، التوقيت: 39:17.

[25]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 19، إنتاج: 2003، التوقيت: 35:02.

[26]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 20، إنتاج: 2003، التوقيت: 20:43.

[27]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 20، إنتاج: 2003، التوقيت: 22:00.

[28]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 24، إنتاج: 2003، التوقيت: 19:05.

[29]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 24، إنتاج: 2003، التوقيت: 48: 22.

[30]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 24، إنتاج: 2003، التوقيت: 22:48.

[31]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 24، إنتاج: 2003، التوقيت: 31:11.

[32]. دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 24، إنتاج: 2003، التوقيت: 33:17.

[33]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 24، إنتاج: 2003، التوقيت: 31:36.

[34]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 24، إنتاج: 2003، التوقيت: 33:25.

[35]. دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 24، إنتاج: 2003، التوقيت: 34:41.

[36]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 24، إنتاج: 2003، التوقيت: 33:25.

[37]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 27، إنتاج: 2003، التوقيت: 5:26.

[38]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 27، إنتاج: 2003، التوقيت: 9:10 .

[39]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 24، إنتاج: 2003، التوقيت: 39:12

[40]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 24، إنتاج: 2003، التوقيت:39:53.

[41]. دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 29، إنتاج: 2003، التوقيت: 42:00.

[42]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 29، إنتاج: 2003، التوقيت: 42:00.

[43]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 29، إنتاج: 2003، التوقيت: .48:09.

[44]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 29، إنتاج: 2003، التوقيت: 50:18.

[45]. دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 29، إنتاج: 2003، التوقيت: 51:00.

[46]– دراما ربيع قرطبة، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 29، إنتاج: 2003، التوقيت: 51:00.

[47]– ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ج 2، (بيروت: دار الثقافة، ط 3، 1983م)،301. محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام**، ج 1، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1423 ه)، 58.

[48]– محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ج 1، 521-522.

[49]. ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج 2، 274. شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق: إحسان عباس، ج 1، (بيروت: دار صادر، ط 1، 1900م)، 406. عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين**، تحقيق: صلاح الدين الهواري، (صيدا–بيروت: المكتبة العصرية، ط 1، 2006م)، 38. ابن الآبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، **الحلة السيراء**، تحقيق: حسين مؤنس، (القاهرة: دار المعارف، ط 1، 1985م)، 275.

[50]. عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين**، 30. محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ج 1، 521. شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، ج1، 399.

[51]. محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ج 1، 521. ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج 2، 257.

[52]. ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج 2، 257.

[53]– حسن خليفة وحسن مراد واحمد الشرقاوي، **تاريخ العرب في افريقية والأندلس**، (القاهرة: وزارة الثقافة، 1938م)،154.

[54]– إيفاريست ليفي بروفنسال، **تاريخ اسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية**، ترجمة: علي عبد الرؤوف البمبي وعلي إبراهيم والسيد عبد الظاهر عبد الله، مراجعة: صلاح فضل، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ط 3، 2000م)، 448.

[55]. محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ج 1، 522. شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، المقري، ج 1، 399.

[56]– عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، **تاريخ المغرب والأندلس**، (القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، 1984م)، 214.

[57]. شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، ج 1، 399. محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ج 1، 522.

[58]– السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة**، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1997م)، 325. أحمد مختار العبادي، **في تاريخ المغرب والأندلس**، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د. ت)، 226. 227. أحمد مختار العبادي، **في التاريخ العباسي والأندلسي**، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1972م)، 437.

[59]– علي جارم بك، **قصة العرب في اسبانيا**، (مصر: مطبعة المعارف ومكتبتها، 1944م)، 140.

[60]– حسن خليفة وحسن مراد واحمد الشرقاوي، **تاريخ العرب في إفريقية والأندلس**، 155.

[61]– أحمد مختار العبادي، **في تاريخ المغرب والأندلس**، 227. أحمد مختار العبادي، **في التاريخ العباسي والأندلسي**، 437.

[62]– إيفاريست ليفي بروفنسال، **تاريخ اسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية**، ج 1، 448-449.

[63]– ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج 2، 256. ابن الآبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، **الحلة السيراء**، ج 1، 168. عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين**، 28 .

[64]– حسن خليفة وحسن مراد واحمد الشرقاوي، **تاريخ العرب في إفريقية والأندلس**، 155.

[65]– عبد المجيد نعنعي، **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس**، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د. ت)، 424.

[66]– حسن خليفة وحسن مراد واحمد الشرقاوي، **تاريخ العرب في إفريقية والأندلس**، 155.

[67]. ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج 2، 253.

[68]– رينهرت دوزي، **المسلمون في اسبانيا**، تحقيق: حسن حبشي، ترجمة وتعليق وتقديم: حسن حبشي، ج 2، 74.

[69]– عبد المجيد نعنعي، **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس**، 424.

[70]– حسن خليفة وحسن مراد واحمد الشرقاوي، **تاريخ العرب في إفريقية والأندلس**، 155.

[71]– محمد سهيل طقوش، **تاريخ المسلمين في الأندلس**، (بيروت: دار النفائس، ط 3، 2010م)، 362.

[72]– رينهرت دوزي، **المسلمون في اسبانيا**، ج 2، 74.

[73]– حسن خليفة وحسن مراد واحمد الشرقاوي، **تاريخ العرب في إفريقية والأندلس**، 155.

[74]– محمد سهيل طقوش، **تاريخ المسلمين في الأندلس**، 362. أبو مروان، ابن حيان القرطبي، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، تحقيق: محمود علي مكي، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1390هـ)، 123.

[75]. شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق: إحسان عباس، ج 3، (بيروت: دار صادر، ط 1، 1900م)، 88. ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج 2، 251-252.

[76]– ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج 2، 252. رينهرت دوزي، **المسلمون في اسبانيا**، ج 2، 75. محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ج 1، 523.

[77]– ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج 2، 252.

[78]– خالد الصوفي، **تاريخ العرب في إسبانيا، نهاية الخلافة الأموية في الأندلس**، (حلب: منشورات دار الشرق عبد السميع عفش، د.ت)، 62-63.

[79]– رينهرت دوزي، **المسلمون في اسبانيا**، ج 2، 75. محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ج 1، 523.

[80]– محمد سهيل طقوش، **تاريخ المسلمين في الأندلس**، 362. أبو مروان، ابن حيان القرطبي، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، 123.

[81]. ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج 2، 249.

[82]. نفسه، 259.

[83]. محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ج 1، 524. ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج 2، 261. شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، ج 1، 399.

[84]. ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج 2، 253.

[85]. وضع المؤرخ القرطبي المعاصر أبو مروان ابن حيان كتابه "البطشة الكبرى"، وخصص جزءا منه لتاريخ هذه الفترة تحت عنوان أخبار الدولة العامرية أو المآثر العامرية. ابن الآبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، **الحلة السيراء**، ج 1، 269 . عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين**، 37. أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ج 7، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط 1، 1997م)، 349.

[86]– محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ج 1، 524– 525.

[87]– محمد سهيل طقوش، **تاريخ المسلمين في الأندلس**، 363.

[88]– عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، **تاريخ المغرب والأندلس**، (جامعة القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، د. ت)، 218.

[89]– ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج 2، 300. شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، ج 1، 281.

[90]– شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، ج 1، 282.

[91]– محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ج1، 537.